الاتجاهات النظرية في دراسة العمل والأسرة (*)

أحمد بدر محمد سيد
مدرس مساعد بقسم علم الاجتماع
كلية الآداب، جامعة القاهرة

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تناول طبيعة التحولات الفكرية التي حدثت في بنية النظرية السوسيولوجية في تناولها لقضايا العمل والأسرة. فيبدأ بعرض الإسهامات الفكرية التي قدمها رواد علم الاجتماع الأوائل بشأن هذين المجالين من مجالات الحياة الاجتماعية، لمعرفة إلى أي مدى ارتبطت هذه الاسهامات بطبيعة التحولات البنائية التي حدثت في المجتمعات الأوربية خلال الفترة التي عاصروها، وللوقف على الدور الذي لعبته هذه الاسهامات الفكرية في توسيع الفجوة بين مجالي العمل والأسرة، وهو ما ساهم بعد ذلك في تكوين ما عرف بين علماء الاجتماع بأيديولوجيا المجالات المنفصلة The ideology of separate spheres. ثم ينتقل المقال بعد ذلك لاستعراض الاتجاهات النقدية التي ظهرت في أواخر القرن العشرين لتفنيد عقيدة الفصل بين مجالات الحياة الاجتماعية، ولإعادة صياغة الكثير من الأفكار المطروحة بشأن المساواة بين الجنسين في المجالين العام والخاص. وتعد النظرية النسوية رائدة هذه الاتجاهات النقدية بامتياز، فهل نجحت النظرية النسوية في ذلك؟ وهل استطاعت رأب الفجوة بين مجالي العمل والأسرة؟ هذا ما ستجيب عنه السطور القليلة القادمة من هذا المقال.

الكلمات المفتاحية

العمل، الأسرة، العمل المأجور، العمل غير المأجور، المجالات المنفصلة، النسوية، التوازن بين العمل والأسرة.

Abstract:

This article aims to review the intellectual transformations that have occurred in the structure of sociological theory with regard to work and family issues. First, the article reviews the intellectual contributions provided by classic sociologists regarding work and family domains, to know to what extent these contributions have linked to the structural

(*)الاتجاهات النظرية في دراسة العمل والأسرة ، المجلد العاشر، العدد الأول، يناير ٢٠٢١، ص ص٧٥-١٠٨.

transformations that occurred in European societies during the period they witnessed. Additionally, to identify the role was played by these intellectual contributions in bridging the gap between work and family, which recently lead to the emergence of what sociologists have called "the ideology of separate spheres". The article then reviews the critical perspectives of sociological theory in the late twentieth century, which refuted the doctrine of separate spheres, and provided many insights about gender equality in the public and private spheres. The feminist theory has been the pioneer within these critical perspectives. Has the feminist theory succeeded? Was it able to bridge the gap between work and family?

Keywords

Work, Family, Paid work, Unpaid work, Separate spheres, Feminism, Work-family balance.

مقدمة:

تطور الاهتمام المعرفي بقضيتي العمل والأسرة داخل حقل العلوم الاجتماعية عمومًا وعلم الاجتماع على وجه التحديد داخل فروع معرفية متباينة إلى حد كبير. وقد جاء ذلك كنتيجة للنظر إلى هذين المجالين باعتبارهما مجالين مختلفين من مجالات الحياة الاجتماعية، ومن ثم فإنهما يُشكلان موضوعات مختلفة للدراسة داخل فروع مختلفة من العلم الاجتماعي. فقد ظهر الاهتمام بقضية العمل في علم الاجتماع داخل ما عُرف بين المشتغلين بهذا العلم بعلم اجتماع العمل، في حين شكلت الأسرة محور اهتمام فرع آخر من فروع هذا العلم عُرف بعلم اجتماع الأسرة أو العائلة. ولا يختلف الحال كثيرًا بالنسبة للعلوم الاجتماعية الأخرى، فقضية العمل شكلت موضوعًا للدراسة داخل ما يسمى بعلم نفس المهن، أما الأسرة فقد شكلت موضوعًا آخر داخل فرع آخر من فروع هذا العلم عُرف بعلم نفس العلاقات الزواجية. وأصبح لكل فرع من هذه الفروع نظرياته ولغته ومصطلحاته الخاصة إلى جانب المشتغلين به، ولم يكن هناك سوى اتصال محدود بين هذه الفروع وبعضها البعض.[1]

لقد ساهمت كل هذه الأمور مجتمعةً في وجود ازدواجية فكرية واضحة في النظر للعلاقة بين العمل والأسرة، وبات من الصعوبة بمكان النظر لهذين المجالين من منظور فكري واحد وتجاهل المنظورات الأخرى، كما أصبح من الصعب أيضًا فصل التحولات الفكرية -التي حدثت على مدار ما يزيد عن قرنين من الزمان المرتبطة بقضيتي العمل والأسرة-عن التحولات المجتمعية التي حدثت خلال هذه الفترة، والتي ساهمت بشكل كبير في صياغة تصورات المنظرين والمفكرين بشأن هذه القضية. وفي ضوء هذه الرؤية الفكرية الثنائية يسعى المقال الحالي إلى استعراض طبيعة التحولات الفكرية التي حدثت في بنية النظرية السوسيولوجية في تناولها لقضايا العمل والأسرة؛ ولتحقيق الهدف السابق يتناول المقال الحالي في البداية الظروف المجتمعية التي ساهمت في إحداث نوع من الفصل بين مجالي العمل والأسرة في محاولة لربطها بالأفكار التي قدمها علماء الاجتماع الكلاسيكيون بشأن مبدأ الفصل بين مجالات الحياة المختلفة، وكيف ساهمت هذه الأفكار في ترسيخ وتعميق الفجوة بين المجالين. أما القسم الثاني من المقال فهو يناقش محاولات التوفيق بين مجالي العمل والأسرة، وكيف أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية -التي شهدتها نهايات القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين- ساهمت في تجسير الفجوة بين هذين المجالين، والتكامل بينهما قدر الإمكان؛ حيث أصبح لكل من الرجال والنساء الحق في العمل بأجر خارج المنزل من جانب، وفي تحمل جزء من أعباء الحياة الأسرية من جانب آخر. وتمثل النظرية النسوية بموجاتها الثلاث وتياراتها ومذاهبها المتعددة والمختلفة واحدة من هذه النظريات، وقد تم التركيز على أهم تياراتها النظرية التي ترتبط بموضوع الدراسة الراهنة، واستبعاد الأطروحات الأخرى التي تبعد عن موضوعنا الحالي؛ خشية الإسراف في العرض، والبعد عن الهدف المرجو من التحليل.

العمل والأسرة: مجالان منفصلان من مجالات الحياة

يُرجع الكُتاب والمفكرون إشكالية الصدام بين العمل والأسرة إلى بداية عصر الثورة الصناعية وما أحدثته من تغيرات جذرية داخل المجتمعات الأوربية. فالأسرة -داخل المجتمع الاقطاعي السابق على الثورة الصناعية- ظلت وحدة منتجة من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية؛ فهي من ناحية كانت المسؤولة عن الإنجاب وإمداد المجتمع بالأفراد اللازمين لاستمراره، وهي من ناحية أخرى كانت تتكفل بتلبية غالبية متطلبات

أفراد الأسرة المعيشية المادية والاقتصادية؛ فلم يكن هناك حدود واضحة بين مجالي العمل والأسرة، كما أن التمييز بين العمل الذي يُنجز في المنزل، والعمل الذي يُنجز في أي مكان آخر لم يكن موجودًا في عصور سابقة.[٢] ومع بداية الثورة الصناعية داخل المجتمعات الأوربية وما صاحبها من ظهور لأشكال أخرى من الانتاج تتجاوز حيز الأسرة، فقدت الأسرة المعيشية أحد أهم وظائفها كوحدة إنتاجية، وانخرط الكثير من أفرادها للعمل خارج حيز المنزل، حتى أن هناك أسرًا بأكملها ذهبت للعمل في المصانع، أي أن المشروعات الرأسمالية في بداية ظهورها كانت تعتمد على تشغيل الأسرة ككل في مصانعها بعيدًا عن المنازل، ولكنها لم تكن تعتمد عليهم كأفراد بل كجماعات متوافقة في ذلك مع الاتجاه التقليدي الذي يرى أن على الأطفال وكبار السن الذكور والإناث المشاركة في العملية الانتاجية.[٣]

لقد كان لحركة التصنيع والتحضر في ذلك الوقت تأثير كبير على أبناء الطبقة العاملة، فاستقر أبناء هذه الطبقة في المدن بالقرب من أماكن عملهم، وقامت العديد من نساء هذه الطبقة بالجمع بين مسؤولياتهن الأسرية والعمل في وظائف يحصلن منها على أجر. فكان رجال الطبقة العاملة يعملون في المصانع بينما كانت زوجاتهم يعملن في الأعمال الخدمية أو الأعمال الكتابية.[٤] وعلى العكس من الطبقة العاملة، فإن ظاهرتي التصنيع والتحضر بالنسبة لأبناء الطبقة الوسطى كانتا تعني اتساع الفجوة بين العمل والأسرة من الناحيتين الجغرافية والرمزية. وقد ساهم في تسهيل هذا الانفصال تقسيم القوانين والترتيبات المعمارية العديدة التي خلقت حدودًا تفصل بوضوح بين المناطق السكنية والصناعية. وقد تعززت هذه الحدود المادية بين العمل والأسرة من خلال تقسيم العمل على أساس النوع، ففي الطبقة الوسطى، أصبح مكان العمل مجالاً للرجال، بينما اعتبرت الأسرة مجالاً للنساء والأطفال.[٥]

وبرغم أن نساء الطبقة العاملة كن يعملن خارج المنزل جنبًا إلى جنب مع الرجال، إلا أن أيديولوجيا الفصل بين المجالين قد تشكلت خلال هذه الفترة بناءً على المعايير الثقافية التي كانت سائدة بين أبناء الطبقة الوسطى فيما يتعلق بعمل الرجال والنساء. فاعتبر أصحاب الأعمال العمل مهمة الرجال، واعتبر المنزل مهمة النساء. لقد حررت هذه الافتراضات العمال الذكور من المسؤوليات المنزلية، ودعمت هذه

الافتراضات الاعتقاد بأن العمل المنزلي من مسؤوليات المرأة. وأدت هذه التغيرات إلى ترسيخ ما عرف بين علماء الاجتماع "بمبدأ الفصل بين المجالين".[٦] ووفقًا لأيديولوجيا الفصل بين المجالين، أصبح ينظر إلى الرجال على أنهم أكثر تأهيلاً للمجال العام والعمل خارج المنزل، في حين أصبحت النساء مسؤولات عن المجال الخاص وما يتضمنه من أعمال منزلية ورعاية للأطفال. وقد صاحب هذه الايديولوجيا فيما بعد تطور في أنماط تقسيم العمل في اتجاه نمط الإعالة الذكورية.[٧]

وخلال هذه المرحلة التاريخية التي كان يمر بها المجتمع الأوربي ظهرت مجموعة من النظريات الاجتماعية الكلاسيكية التي قدمها رواد علم الاجتماع الأوائل حول الأسرة، والتقسيم النوعي للعمل، وأدوار النوع الاجتماعي، وغيرها من الموضوعات. وبالرغم من أوجه القصور الذي اعترى بعض هذه التحليلات، إلا أنها شكلت الأساس الذي انطلقت منه الكثير من النظريات الأخرى فيما بعد. وإذا كانت التحولات البنائية التي حدثت داخل المجتمعات الصناعية قد دعمت بشدة مبدأ الفصل بين العمل والحياة الأسرية، فإن الاسهامات الفكرية التي صاغها علماء الاجتماع الكلاسيكي رسخت بشدة لقضية الفصل السابقة. فانشغال هؤلاء بتحليل طبيعة التغيرات والمشكلات الاجتماعية التي أعقبت الثورة الصناعية، وأنماط اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية التي تولدت عنها، إلى جانب البحث عن حلول فعالة لمواجهتها؛ جعلهم ينظرون لمبدأ الفصل بين العمل والأسرة باعتباره خطوة أولى في سبيل الحفاظ على المجتمع واستقراره. وفيما يلي استعراض تلك الاسهامات النظرية.

١ : الماركسية: استغلال الدولة للنساء في فصل العمل عن الأسرة

اعتبر "كارل ماركس" وصديقه "إنجلز" قضية الفصل بين المجالين العام والخاص مشروعًا رأسماليًا بامتياز. فالأسرة عند "ماركس" هي أحد أهم المؤسسات الاجتماعية في المجتمع التي تُعد مسؤولة بشكل كبير عن التنشئة الاجتماعية للأجيال الجديدة، إلى جانب كونها تحافظ على مصالح الطبقة البرجوازية المسيطرة من خلال نشرها للأيديولوجيا الرأسمالية. وكان "ماركس" يرى أن المعتقدات التي تقوم الأسرة بتنشئة الأطفال عليها تمثل مصالح الطبقة البرجوازية الحاكمة، وتسهم في تكريس التفاوتات بين الرجال والنساء.[٨] لقد أكد أكد "ماركس وإنجلز" على أن اللامساواة النوعية أسست في المجتمع

الرأسمالي من خلال ظهور الدولة والملكية الخاصة. فبما أن الرجال يسيطرون على المجال العام، استبعدت النساء لاحقًا من هذا المجال.[٩] كما افترض "ماركس وإنجلز" أن الاختلافات بين الجنسين في المجتمع تعكس العلاقات القمعية والاستغلالية التي تتخلل الحياة الأسرية. وربط كلاهما بوضوح بين التفاوتات الطبقية في المجتمع، والتفاوتات النوعية؛ بل حاولا استخدام تحليلاتهما حول الطبقة لتفسير علاقات التفاوت في السلطة داخل الحياة الأسرية التي تتجلي في مظهرين أساسيين: التحكم في السلوك الجنسي للمرأة، والتقسيم النوعي للعمل.[١٠]

لقد ذهب "ماركس وإنجلز" إلى أن تطور أشكال الأسرة يرتبط بطبيعة الأوضاع الاقتصادية السائدة في المجتمع، فالأسرة النووية هي نتيجة لتطور طبيعة الملكية من الجماعية إلى الفردية. وبالتالي فإن السيطرة على السلوك الجنسي للمرأة من خلال الزواج الأحادي ينطوي على إنجاب نسل من النسب الأبوي. فمع انتقال الملكية عبر الخطوط الذكورية، فإن ذلك يمكن الأسر من الحفاظ على تركيزها للثروة، من خلال إعادة إنتاج البناء الطبقي في كل جيل من الأجيال المتعاقبة. لقد شبه "ماركس وإنجلز" دخول المرأة في عقد الزواج بالعقد الذي تقوم بتوقيعه الطبقة العاملة عند الدخول في قوة العمل داخل المجتمع الرأسمالي. وهكذا فإن عدم التماثل في القوة الذي يظهر في الزواج يضع الرجل في وضع التفوق والمرأة في وضع الاستغلال، وهو ما يعد مرادفًا للعلاقة بين الرأسمالي والبروليتاري. إن هذه التفاوتات بين الرجال والنساء لا تضمن فقط سيطرة الرجل على الحياة الجنسية للمرأة، وإنما تضمن أيضًا إنجاب أجيال جديدة من العمال بتكلفة أقل للقوى الرأسمالية.[١١]

أما الشكل الثاني من أشكال تفاوتات القوة داخل الحياة الأسرية فيتمثل في التقسيم النوعي للعمل، وهو يسهم مرة أخرى في إعادة إنتاج الرأسمالية ذاتها. ولتحديد الاختلافات الطبقية بين الطبقة البرجوازية والطبقة العاملة من حيث أشكال التقسيمات النوعية للعمل -السائدة لدى كل طبقة- أكد "إنجلز" على أن الأسر البرجوازية تمثل نمط الإعالة الأحادي، وفيه يكون الزوج هو المصدر الأساسي للدخل، في حين تكون الزوجة هي المسؤولة عن الأعمال المنزلية وتربية الأطفال. وعلى العكس من ذلك، فإنه بسبب طبيعة الاحتياج المادي يكون على الرجال والنساء من أبناء الطبقة العاملة الدخول

إلى سوق العمل المأجور، ولكن تظل النساء بعد ذلك غير متمتعات بأي امتيازات في سوق العمل من حيث الأجور المنخفضة والاستبعاد من المناصب العليا، وغالبًا ما يكون المبرر لذلك أن أجورهن تعد أجورًا مكملة للأزواج. وعلاوة على ذلك، فإن مسؤوليات المرأة المنزلية غير مدفوعة الأجر هي في الغالب مستدامة، فهي أمر يساهم في استمرارية السيطرة الرأسمالية، ويجعل الدولة متحررة من المسؤولية تجاه هذا النمط من العمل غير المأجور، كما أنها تعفي الرأسمالي من دفع أجور أعلى للعمال لاستئجار العمالة المنزلية. وبالتالي يمكن القول بأن الدولة في المجتمع الرأسمالي تعمل من أجل الحفاظ على نموذج الإعالة الذكورية وهيمنة الأسرة النووية التي تدعم المشروع الرأسمالي. فالعمل المنزلي الذي تؤديه المرأة يعد مساهمة حيوية غير مباشرة في إنتاج السلع السوقية، إذ أنه يسمح للرأسمالي باستخراج فائض القيمة من السوق. ويمثل فائض القيمة هنا القيمة المتبقية بعد خصم قيمة التكلفة اليومية للعامل من قيمة السلع التي ينتجها، وتمثل هذه القيمة المتبقية مصدر الربح بالنسبة للرأسمالي. وبالتالي فإن الأعمال غير المأجورة التي تؤديها النساء تعد أعمالاً غير مدفوعة الأجر لصالح الرأسمالي. وهكذا، فإنه في الوقت الذي يتم فيه استغلال العمال بأجر بطريقة مباشرة، تُستغل النساء بشكل غير مباشر حيث لا يتم الدفع لهن مقابل قيمة عملهن المنزلي؛ الذي يساعد على تحقيق فائض القيمة في المقام الأول. ومع ذلك لابد من الإشارة إلى أن "كارل ماركس" لم يعتبر النساء ممنوعات نهائيًا من المشاركة في القوى العاملة العالمية، ولكنه نظر إلى النساء على أنهن يشكلن جيشًا احتياطيًا متاحًا للعمل يمكن استخدامهن كعمالة إضافية مؤقتة في أوقات الازدهار الاقتصادي أو في أوقات الحروب.[١٢]

وفي الحالات التي لم يعُد فيها "جيش الاحتياط" مطلوبًا، يمكن إعادة تنشيط إيديولوجيا المذهب الطبيعي التي تنظر للنساء باعتبارهن المسؤولات عن تربية الأطفال. إن استعادة هذه الأيديولوجيا يكون في الغالب من أجل تبرير هذه القضية، ولتشجيع النساء على العودة إلى مجال المنزل.[١٣] ويرى "ماركس" أن تطبيق المبادئ الاشتراكية والقضاء على الملكيات الخاصة سيسهم في تحرير النساء من كافة أشكال السيطرة والاستغلال، وهو ما يؤدى بعد ذلك إلى مشاركتهن في الحياة العامة أسوة بالرجال.

وبالرغم من أن هذا الإدماج للمرأة في المجتمع يعد تقدمًا في النظرية الماركسية إلا أنه ظل تقدمًا سطحيًا لأنه ظل ينظر إلى النساء كأشخاص ثانويين بالنسبة للرجال.[١٤]

وبالنظر لأفكار "كارل ماركس" وآرائه حول الأسرة، وأدوار النساء والرجال في المجتمع الرأسمالي نجد أنها لم تتعد مجرد الوصف لوضعٍ كان قائمًا بالفعل، ولم تقدم أي تشخيص كامل وعلمي لنمو وتطور الاتجاه نحو تحقيق المساواة النوعية في كل مجالات الحياة المختلفة. كما أن التحليلات الماركسية لم تعد صالحة الآن لتفسير الزيادة المطردة في أعداد النساء في سوق العمل المأجور في العديد من الدول التي تتبني أنظمة اقتصادية رأسمالية بامتياز، حتى باتت هذه النسبة تفوق في بعض الدول الرأسمالية نسبة الرجال على وجه التحديد، كما باتت مشاركة النساء في قوة العمل الرسمية داخل هذه الدول أمرًا ضروريًا للاقتصاديات القومية، وضروريًا أيضًا لعائلاتهن.[١٥]

٢: إيميل دوركايم: الفصل بين العمل والأسرة ضرورة لحفظ النظام العام

يعد "إيميل دوركايم" من أوائل المنظرين الاجتماعيين الذين ألتفتوا بعناية لقضية الاختلافات النوعية بين الذكور والإناث في مجالات الحياة المختلفة. إن الفترة التي عاصرها "دوركايم" في المجتمع الفرنسي شهدت جدلاً كبيرًا حول أدوار وحقوق المرأة في المجتمع المعاصر، وساهمت الثورة الفرنسية إلى جانب الحركة النسوية آنذاك في إثارة نقاش مجتمعي عام حول هذه القضايا. ولم يكن "دوركايم" بعيدًا عن كل هذه النقاشات، بل تأثر بها وشارك فيها بفعالية وعرض لتصوراته وأفكاره في العديد من المؤلفات والمحاضرات التي ألقاها، كما أنتقد الكثير من الأفكار التي قدمها رواد هذه الحركة. ويعد مؤلفاه الشهيران "تقسيم العمل" "والانتحار" من أشهر مؤلفاته التي تُظهر تصوراته بشأن هذه القضايا.[١٦]

ويبدو إن انشغال "دوركايم" بقضية النظام الاجتماعي العام، والبحث عن العوامل التي تحفظ للمجتمع بقاءه واستقراره، جعلته ينتقض الكثير من الأفكار التي نادى بها رواد الحركة النسوية بشأن المساواة بين الرجال والنساء في ميادين الحياة المختلفة للدرجة التي جعلت بعض المفكرين ينظرون إلى "دوركايم" كشخص معارض للأفكار النسوية. لقد اعتقد "دوركايم" أن التقسيم النوعي للعمل من الأشياء الهامة والفعالة لحفظ النظام العام داخل المجتمع، وأصر على وجود اختلافات بين أدوار الرجال وأدوار

النساء، كما رفض استقلالية المرأة، وطالب بالحفاظ على سلطة الرجل داخل الأسرة. لقد حاول "دوركايم" أن يمنح المرأة مجالاً خاصًا بها، ولكنه في الوقت ذاته طالب بوضع للمرأة مساوٍ للرجل في المجتمع، وصاغ موقفه المعارض للأفكار النسوية استنادًا إلى مبدأ الضرورة الاجتماعية التي تفرض وجود اختلافات بين الرجال والنساء في المهام التي يقومون بها.[١٧] لقد كان "دوركايم" قلقًا بشأن فراغ المنزل من أشخاص يتولون مسؤولية تربية النشء الجديد، خاصة في حالة خروج المرأة للعمل خارج المنزل مع الرجل، فكتب عن المشكلات المصاحبة لذلك والتي من بينها انخفاض معدلات الخصوبة، وصغر حجم الأسرة الذي من شأنه أن يقلل من المشاعر الأسرية.[١٨]

لقد استند "دوركايم" في تحليلاته حول الاختلافات الموجودة بين الجنسين إلى ادعاءات بيولوجية قدمها بعض علماء التشريح الرحالة في دراساتهم حول المجتمعات البدائية، والتي تظهر وجود تشابه كبير في طبيعة التكوين الجسماني والعقلي للنساء والرجال في تلك المجتمعات، وبمرور الوقت ومع التقدم الذي شهدته المجتمعات البشرية حدثت اختلافات في طبيعة التكوين الجسماني والعقلي لصالح الرجال. وذهب "دوركايم" إلى أن التطور الذى حدث في طبيعة التكوين الجسماني والعقلي للنساء والرجال كان يصاحبه تطور آخر في الوظائف السياسية والاقتصادية والفكرية للرجال والنساء، ورأى أن هذه الاختلافات البيولوجية أو الاجتماعية تعني أن النساء والرجال يتناسبون مع مهام أو وظائف مختلفة تماماً في الحياة الاجتماعية.[١٩] وفي ضوء ذلك، استخلص "دوركايم" أنه يجب على النساء في المجتمع الحديث أن يؤدين الوظائف الوجدانية أو العاطفية، ويجب على الرجال أن يؤدوا الوظائف الفكرية. واعتبر "دوركايم" الاختلافات الفسيولوجية متطابقة مع الاختلافات في الأدوار الوظيفية، والتي تُعد بدورها ضرورية لتحقيق التضامن الاجتماعي داخل المجتمع.[٢٠] ويعد التطور في التقسيم الجنسي للعمل من وجهة نظر "دوركايم" تطورًا نحو المدنية والحضارة. وبالتالي فإنه لا يجوز الافتراض بأن المرأة قد تكون قادرة على القيام بنفس الوظائف التي يقوم بها الرجل في المجتمع. ولكن فمن المفترض أن تصبح أدوار الذكور والإناث أكثر تمايزًا واختلافًا. إن الدور المنزلي للمرأة يعد طبيعيًا ووظيفيًا من منطق التخصص الوظيفي، فضلاً عن كونه مهمًا للصحة الأخلاقية في المجتمع.[٢١]

وللحفاظ على هذه التناقضات، استخدم "دوركايم" الفكرة الكلاسيكية السائدة في القرن التاسع عشر التي كانت تقول "*مختلفون ولكن متساوون، يجب على المرأة أن تسعى إلى المساواة في الوظائف التي تتناسب مع طبيعتها*" وفي المجتمع الحديث فإن هذه الوظائف هي الأدوار المنزلية التي تؤديها المرأة. واعتبر "دوركايم" أن أي تغيير في هذا التقسيم الوظيفي للعمل سوف يسهم في إضعاف الوحدة العضوية للأسرة والزواج التي يجب أن تمنع صعود المرأة إلى المناصب العليا، فمشاعر الاحترام للمرأة تُستمد من كونها المسؤولة عن المنزل. وذهب "دوركايم" إلى أن تطور العائلة الأبوية أنتج حياة عائلية أكثر قوة وأهمية، حيث كانت المرأة ترأس الحياة المنزلية، وازداد الوضع الأخلاقي للزوجة والأم كما أكتسب أهمية أكبر. وفي الوقت نفسه، كانت العلاقات الزوجية بين الزوجين أقرب لأن "مركز الجاذبية في حياة الذكر لم يعد يبتعد عن المنزل كما كان في الماضي". وبناءً على ذلك، فإن المطالب النسوية في مطلع القرن العشرين من أجل تحقيق قدر أكبر من المساواة وقوانين طلاق أقل صرامة، ومشاركة أكبر للمرأة في الحياة العامة، سوف تؤدي إلى تقلص مكانتها داخل المنزل. ولذلك اعتبر "دوركايم" أن النسوية تستند إلى افتراض خاطئ بأن الرجال والنساء متساوون.[٢٢]

وبرغم أهمية التحليلات التي قدمها "دوركايم" حول الأسرة، إلا أنه تجاهل الاقتصاد، ولم يفكر في العلاقة بينه وبين الأسرة. فاعتبر "دوركايم" الملكية الأسرية الجماعية أساس التضامن الأسري في المراحل الأولى من تطور الأسرة.[٢٣] وعالج العلاقة بين الاقتصاد والأسرة من منظور غياب أو تراجع الوظائف التي كانت تؤديها الجماعات القرابية في المجتمعات التقليدية، فالأسرة في المجتمع التقليدي كانت تضطلع بالعديد من الأدوار الاقتصادية، فالملكيات والأعمال والمهام جميعها كانت جماعية، ومع التطور نحو المجتمع الحديث وشيوع أنماط أسرية جديدة أصبحت الجماعات المهنية تضطلع ببعض وظائف الأسرة التقليدية، فهي تحمي المجتمع من الفردية المطلقة المصاحبة لانتشار الأنماط الأسرية الجديدة ذات الجيل الواحد، وتقلل من حدوث الصراع الاجتماعي الذي يهدد وينشر الفوضى داخل المجتمع، ونظرًا لطبيعة التعقيد الذي تتسم به الحياة الاقتصادية، فإن هذه الجماعات المهنية تلعب دورًا هامًا في تنظيم الحياة الاقتصادية وحفظ النظام العام داخل المجتمع.[٢٤]

٣: ماكس فيبر: الأسرة مؤسسة غير عقلانية تستوجب فصلها عن العمل

على العكس من "ماركس وإنجلز ودروكايم" قدم "ماكس فيبر" رؤية مغايرة لمن سبقوه، فاتسم تراثه حول الأسرة والاقتصاد وأدوار النوع الاجتماعي بالاختلاف إلى حد كبير. وقد جاء هذا الاختلاف نتيجة لارتباطه الوثيق بالحركة النسوية التي سادت في أوربا في عصره، والتي كانت زوجته "*ماريان فيبر*" تمثل واحدة من أهم أعضائها البارزين، فتأثر كلاهما بأفكار الآخر، وقدما تصورات حول النوع الاجتماعي استندت عليها الحركة النسوية فيما بعد. وقد ناقش "ماكس فيبر" كل هذه الأمور في سياق حديثه عن السلطة وأشكالها المختلفة، وعن العقلانية في المجتمع الرأسمالي المعاصر.[٢٥] لقد رفض "فيبر" منذ البداية تعريف الأسرة كتجمع للحقوق الجنسية وتنشئة الأطفال؛ وبالتالي فإن العلاقات بين الرجال والنساء ليست أسرية في الأساس وإنما اقتصادية، تتشكل كنتيجة للعلاقات الدائمة التي تربط بين أفراد الأسرة في ظروف الإعالة الاقتصادية المشتركة.[٢٦] وبرغم أن "فيبر" اعتبر الأسرة جماعة اقتصادية في الأساس، لكنه اعتبر الجانب الاجتماعي في الأسرة مهمًا لفهمها كمؤسسة اجتماعية فريدة، وأكد على أن العلاقات العاطفية المتشابكة بين أفراد الأسرة هي العنصر الدينامي الأساسي في الأسرة.[٢٧]

ينطلق "ماكس فيبر" في حديثه عن الأسرة والاقتصاد من مجموعة من الافتراضات الأنثروبولوجية التي تتميز بنفس الإرث التطوري، والانتقال من أشكال بسيطة للأسرة والاقتصاد إلى أشكال أكثر تعقيدًا. ففي كتابيه الشهيرين "الاقتصاد والمجتمع" و"التاريخ الاقتصادي العام" اتخذ "ماكس فيبر" الأسرة المعيشية كنقطة بداية في التحليل لحساب عقلانية الفعل الاجتماعي والاقتصادي. فلم ينظر للأسرة المعيشية كوحدة شيوعية باستثناء العلاقة بالاستهلاك، وإنما نظر إليها كنمط أو نموذج للاستيلاء على حقوق الملكية والتي تعد عادة أبوية. وفي هذا النمط من الأسر لا يكون الولاء المستحق لرب الأسرة المعيشية قائمًا على طاعة الوالدين أو صلة القرابة، وإنما على القوة التي تستمد جذورها من القهر. وبالتالي، فإن العلاقات داخل الأسرة المعيشية قائمة على القهر إلى جانب مصادر أخرى كالتعود، ذكريات الطفولة، الخبرات، والاعتراف بأنه لا يوجد حماية خارج مجال قوة الأسرة المعيشية. كل هذه العوامل تجتمع لإنتاج الهيمنة أو السيطرة والتي غالباً ما تكون هيمنة الذكور على الإناث وكبار السن على الأصغر سنًا.

واعتبر "فيبر" أن ممارسة هذه السلطة ليست عملاً تعسفياً بالكامل، بل هي ضمنية في مفهوم الأسرة كوحدة إنتاجية، حيث تشكل النساء والأطفال المصدر الأساسي لقوة العمل. وفي ظل هذا النظام الأسري يصبح هناك فرق كبير بين الأسرة ومؤسسات الانتاج بالمعنى الحديث.[٢٨]

ويرى "فيبر" أن هناك عوامل مختلفة ساهمت في تقويض النظام الأبوي أهمها النظام الأمومي، وشيوع الزواج الأحادي؛ مؤكدًا على أن هذه التحولات التي حدثت في بنية الأسرة من الداخل ساهمت في ظهور أنماط أخرى من الاقتصاد تختلف عن اقتصاد الأسرة المعيشية الذي كان يستند على مبدأ الانتاج من أجل الاستهلاك. ففي ظل الاقتصاد الجديد أصبحت العلاقات بين أفراد الأسرة المعيشية تقوم على التعاقد، وفُصلت الموارد المالية للزوج عن الزوجة تمهيدًا لمبدأ المحاسبة المنفصلة، وقد ترتب على هذا الفصل أيضًا فصل الموارد المالية الشخصية عن الموارد المالية للمنزل. إن صعود أي اقتصاد نقدي – من وجهة نظر فيبر- تصاحبه روح حسابية عقلانية مختلفة تمامًا عن الروح التي كانت تحكم الاقتصاد المعيشي التقليدي، وبالتالي أصبحت الأسرة المعيشية "*غير عقلانية*" من وجهة النظر الاقتصادية البحتة، ومكان لا يتناسب بمرور الوقت مع متطلبات الاقتصاد النقدي الجديد.[٢٩]

لقد نظر "ماكس فيبر" إلى قضية الفصل بين مجال الأسرة المعيشية ومجال الشركات التجارية باعتبارها سمة بنائية هامة لتطور الرأسمالية ونموها. فبمرور الوقت تم استبدال ما أطلق عليه "ماكس فيبر" "الشيوعية المنزلية" برابطة عقلانية حسابية. كما أصبح الفرد الذكر المولود في الأسرة شريكًا تجاريًا محتملاً لأحد المنشآت التجارية التي تدار بعقلانية. واعتبر "ماكس فيبر" أن الفصل الحاسم بين الأسرة ومؤسسات الانتاج جاء بهدف المحاسبة ولتحقيق الأغراض القانونية، وهو أمر حاسم من أجل نمو الرأسمالية العقلانية، كما أكد على أن هذا الفصل كان له تأثير واضح على كلٍ من الرجال والنساء. فأصبحت الأسرة المعيشية المجال المناسب للنساء، في حين أصبحت الشركات المنتجة المجال الأنسب للرجال، على الأقل فيما يتعلق بالسيطرة على الانتاج والاستهلاك.[٣٠]

ويرى "فيبر" أن العصر الصناعي ساهم في خروج المرأة من المنزل إلى سوق العمل؛ وبالتالي خرجت المرأة تدريجياً من مجال السلطة الذكورية، وتحول الاقتصاد المنزلي إلى مهمة المرأة الرئيسية التي باتت تمارس أدوارًا متعددة، وشهد هذا العصر دخول عدد كبير من الإناث في مجموعة من العلاقات الاقتصادية والعملية. وبدلاً من خضوع النساء للرجال في الأسرة المعيشية، تزايدت تفاعلاتهن مع الاقتصاد النقدي والفعل العقلاني الهادف للتبادل في الأسواق.[٣١] لقد كان "فيبر" يرى أن اتجاه المجتمع للعقلنة أدى إلى نشوء تغيرات جوهرية على المجتمع. فقد تغيرت وظيفة المرأة التاريخية من ربة منزل لانطلاقها في مجالات العمل التقنية، وأرجع "ماكس فيبر" التقسيم النوعي للأعمال المنزلية بين الرجل والمرأة إلى الاختيار العقلاني الذى اعتبره سمة رئيسية من سمات المجتمعات الرأسمالية.[٣٢]

ويبدو أن حديث "فيبر" عن الفصل بين مؤسسات العمل والأسرة كان يتضمن مبدأ الفصل الفيزيقي فقط، فالأسرة عند "فيبر" مؤسسة غير عقلانية؛ وهي لا تتناسب مع السلوكيات العقلانية التي باتت تتسم بها مؤسسات العمل الحديثة المحكومة بضوابط قانونية وتنظيمية ومحاسبية مختلفة عن تلك السائدة في الأسرة؛ وبالتالي فإن تحقيق مبدأ الفصل بين المجالين يعد ضروريًا لنمو الرأسمالية وتوسعها. وبالرغم من تبنى "فيبر" لمبدأ الفصل بين الأسرة والعمل، إلا أنه قد تبنى رؤية مغايرة عن علماء الاجتماع الذين سبقوه، فنادي بحق المرأة في العمل والمشاركة في المجال العام أسوة بالرجال. إن "فيبر" هنا لا ينظر لخروج المرأة للعمل المأجور خارج الأسرة على أنه تهديد للاستقرار المجتمعي العام، بل نظر إليه كحق من حقوق المرأة، بل اعتبره حتميًا ومتناسبًا مع طبيعة التطور التي تمر بها المجتمعات الإنسانية. وبالرغم من تأكيده على هذا الحق، إلا أنه لم يُعف المرأة من مسؤوليتها التاريخية كربة منزل.

٤: بارسونز: تباين الأدوار النوعية يستوجب الفصل بين العمل والأسرة

يعد عالم الاجتماع الأمريكي "تالكوت بارسونز" من أشهر العلماء الوظيفيين الذين برز نجمهم خلال القرن العشرين. إن آراء "بارسونز" حول أدوار النساء المكملة لأدوار الرجال في المجتمع تمثل جوهر الأفكار الوظيفية حول وظيفة الأسرة في المجتمع الصناعي وأدوار النوع الاجتماعي.[٣٣] لقد عبر "بارسونز" عن وجهة نظره فيما يتعلق

بالأسرة والاقتصاد وأدوار النوع الاجتماعي في كتابه الشهير الأسرة والتنشئة الاجتماعية، حيث أكد على أن التغيير الرئيسي في الحياة الأسرية الذي أعقب التحول نحو التصنيع كان ظهور الأسرة "النووية" التي تتألف من الزوجين وأطفالهما المباشرين فقط. وأشار "بارسونز" إلى أن هذا الشكل الجديد للأسرة لم يكن يتعارض إطلاقًا مع متطلبات الاقتصاد الصناعي الجديد؛ لأن هذه الأسرة كانت صغيرة بما يسمح لها بحرية الحركة والتنقل. وتمثلت وظيفتها الرئيسية في التنشئة الاجتماعية للأطفال، وتشكيل الشخصية. في حين أن الوظائف السابقة للأسرة والمتمثلة في تعليم الأبناء، والقيام بالأنشطة الانتاجية المباشرة باتت مسؤولية الدولة ومؤسسات العمل.[٣٤]

وكانت نقطة البداية لهذا الجزء من فكر "بارسونز" هو اكتشافه المبكر لدراسات "روبرت بالز" عن القيادة في المجموعات الصغيرة الموجهة نحو مهام. وقد وجد "بالز" أنه في معظم هذه المجموعات يظهر نوعان من القادة: قائد المهمة، والقائد العاطفي الاجتماعي. فقائد المهمة هو الشخص الذي يمتلك أفضل الأفكار، ويحث المجموعة على إكمال المهمة. أما القائد العاطفي الاجتماعي فهو الذي يحافظ على المجموعة من الانهيار، أو من التمرد على قائد المهمة.[٣٥] ووجد "بارسونز" أن نتائج "بالز" تنطبق على العلاقات الأسرية. وأكد على أن قائد المهمة في الأسرة هو عادة الأب، أما القائد العاطفي الاجتماعي هو الأم. ووفقًا لما ذكره "بارسونز" فإن مهمة الذكور هي توفير الاحتياجات الاقتصادية، في حين تكون الإناث مسؤولات عن الأدوار المنزلية. وذهب "بارسونز" إلى أن هذا الترتيب يُعد وظيفيًا للنظام الاجتماعي والاقتصادي، لأنه يوفر قوة عاملة ذكورية حرة تتناسب مع احتياجات سوق العمل، وهي وظيفية أو مناسبة لكلا الجنسين، لأنها تتفق مع طبيعة شخصياتهم وتكوينهم البيولوجي. كما أشار "بارسونز" إلى أن النساء اللواتي يسعين للحصول على وظائف أو مهن خارج الأسرة، سوف يؤدي ذلك إلى إحداث تغيرات عميقة في بنية العائلة. ونظر إلى المساواة المطلقة بين الجنسين على أنها لا تتوافق مع التضامن الأسري.[٣٦] لذلك ميز "بارسونز" بين نوعين من الأدوار: الأدوار التعبيرية، وهي التي تؤديها النساء، والأدوار الوسيلية المرتبطة بالعمل المأجور ويؤديها الرجال. فالأدوار الوسيلية التي يختص بها الرجل هي التي تربط الأسرة بالعالم الخارجي. بمعنى أن عمل الأب ووظيفته هو الذي يحدد الوضع الاجتماعي للأسرة ككل، وهذا

الأب تم تنشئته على هذا الدور، أما المرأة فهي تختص بالأدوار التعبيرية. ويشير "بارسونز" إلى أن هذا التحديد راجع إلى العامل البيولوجي؛ لأن عملية الإنجاب والرضاعة هي عملية خاصة ولصيقة بالمرأة. كما أن طبيعة هذه الأدوار تجعل المرأة مسؤولة عن تحقيق الثبات والاستقرار الداخلي للأسرة، والعناية بالأطفال، وتوفير النواحي العاطفية لزوجها.[٣٧]

ويرى "بارسونز" أن هذه الاختلافات في الأدوار النوعية تصبح بمرور الوقت معايير اجتماعية يُنشأ الأطفال عليها خلال عمليات التنشئة الاجتماعية.[٣٨] فالتنشئة الاجتماعية عند "بارسونز" هي عملية تعلم مستمر تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الثقافة المعطاة للفرد عن طريق الأسرة الصغيرة، وبالتحديد عن طريق الوالدين اللذين يمثلان -من وجهة نظر بارسونز- مسؤولي التنشئة الاجتماعية للأطفال.[٣٩] ونخلص من حديث "بارسونز" إلى أن الوالدين في تفاعلاتهما مع الطفل في المواقف الحياتية المختلفة لا يقومان بأدوارهما الشخصية، وإنما يؤديان أدوارًا يحددها لهم المجتمع، وسبق وأن تنشئوا عليها، وعلى الأفراد الجدد الامتثال لهذه الأدوار. فإذا كان الأب مسؤولاً عن الأدوار المهنية خارج الأسرة، وكانت الأم مسؤولة عن الأدوار المنزلية، فإن على النشء الجديد القبول بهذا النمط من تقسيم العمل؛ امتثالاً لما أقره المجتمع، وحفاظًا على النظام الاجتماعي العام.[٤٠]

وقد تعرضت أفكار "بارسونز" للعديد من أوجه النقد في مواضع عده. أولى هذه الانتقادات أن "بارسونز" لم يُشر إلى احتمالية وجود أي اختلافات ثقافية بين المجتمعات، واعتبر أفكاره وتحليلاته عن الأسرة في المجتمع الأمريكي صالحة لكل زمان ومكان.[٤١] كما أثبتت البحوث الأنثروبولوجية المقارنة أن أدوار النساء والرجال في بعض الثقافات متشابهة وليست مختلفة، فقد يسهم كل من الرجال والنساء في تربية الأطفال، وأن هذه الترتيبات قد تدعم أيضًا الاستقرار الاجتماعي.[٤٢] كما تعرض مفهوم الوظيفة الأساسية للأسرة عند "بارسونز" أيضًا للنقد. فإذا كانت مهمة الأسرة هي تنشئة الأطفال وتربيتهم، فمن إذًا هو المسؤول أو قائد هذه المهمة؟ فمن الأفضل وفقًا لما ذكره "بارسونز" من فروق في صفات القادة أن يكون الأب هو المسؤولة عن هذه المهمة.[٤٣] كما أنتقد بعض المفكرين النسويين قضية الأدوار التكميلية للذكور والإناث التي صاغها

"بارسونز" مؤكدين على أن الاختلافات في الأدوار النوعية للذكور والإناث، لا يكون بهدف التكامل، وإنما تتمثل مهمتها في ضمان استنساخ السيطرة الأبوية.[٤٤]

العمل والأسرة: من الصراع للتكامل

خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين -وبدايات القرن الحادي والعشرين- حدثت مجموعة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية الهامة، التي أثرت بشكل كبير على طبيعة بيئة العمل عمومًا، وعلى الحياة الأسرية على وجه التحديد. ومن بين أشكال التغير الملفتة للنظر كانت الزيادة الملحوظة في معدلات مشاركة المرأة في القوة العاملة في جميع أنحاء العالم، خاصة الزيادة في أعداد النساء المتزوجات والأمهات العاملات. وتشير البيانات إلى أن التغيرات التي حدثت خلال هذه الفترة في معدلات مشاركة الإناث في سوق العمل كانت مرتبطة ارتباطًا ملحوظًا بارتفاع مستوياتهن التعليمية. وقد ساهم هذا التحسن الملحوظ في المستويات التعليمية للنساء في دفعهن إلى قوة العمل، وتمكنهن من منافسة الرجال على عدد أكبر من الوظائف.[٤٥]

إن التغير الأهم الذي حدث خلال هذه الفترة هو أن مشاركة النساء في قوة العمل جاءت كاستجابة للمطالب والحركات المنادية بأحقية النساء في مشاركة الرجال في المجال العام. فعلى العكس من أيديولوجيا الفصل بين المجالات التي سيطرت على أذهان المنظرين لما يقرب من قرن من الزمان، بدأت تتشكل في ذلك الوقت ملامح أيديولوجيا جديدة تطالب بالمساواة بين الجنسين في كل مجالات الحياة وبالتحديد داخل مجالي العمل والأسرة، وكانت الحركة النسوية في أوروبا من أوائل الحركات المطالبة بذلك، واستطاعت أن تؤثر بشكل كبير على معتقدات وخبرات كل من النساء والرجال داخل المجتمعات الأوربية خلال القرن العشرين وما تلاه.[٤٦]

١ : النظرية النسوية: حتمية القضاء على الهيمنة الذكورية

إذا كانت الاتجاهات الكلاسيكية في علم الاجتماع قد ساهمت بشكل أو بآخر في الدفاع عن نظام اجتماعي يفصل بشكل واضح بين مجالات الحياة المختلفة؛ من خلال التمييز بين الأدوار التي يؤديها الرجال وتلك التي تؤديها النساء، ويحصر النساء في الأدوار المنزلية، في حين يقوم الرجال بكل ما هو خارج المنزل، فإن النسوية تضم كل جهد عملي أو نظري لتحدي أو مراجعة أو نقد أو تعديل النظام الأبوي السائد لفترات

طويلة في التاريخ، والذي أسس لفكرة الذوات المختلفة، ونتج عنه صور متباينة للتدرج والهرمية بين الرجال والنساء في مجالات الحياة الاجتماعية.[٤٧] وترى النسوية أن تحقيق ذلك لن يكون إلا بمنح المرأة حقوقًا متساوية مع الرجل، خاصة في المجال العام، وبتخلي المرأة عن الكثير من أدوارها الأسرية أو تقاسمها مع الرجل، وصلت عند بعض النسويات المتطرفات إلى حد المطالبة بتخليها عن دورها في العملية الإنجابية. لقد تحدى النسويون مفهوم المجالات المنفصلة، وأشاروا إلى أن العلاقات بين الجنسين في سوق العمل ترتبط ارتباطًا كبيرًا بالعلاقات بين الجنسين داخل الأسرة، وذهبن إلى أن مساهمة المرأة في المهام المنزلية هو عنصر حاسم في السماح للرجال بالمنافسة بحرية في سوق العمل، كما أكدن على أن هذا التقسيم النوعي للعمل لعب دورًا أساسيًا في تحديد سمات الأنوثة والرجولة، وفي استبعاد المرأة من العمل المأجور، أو عدم استفادتها منه، وفي تقييد الرجال بسمات الرجولة المرتبطة فقط بعالم العمل.[٤٨]

وبالرغم من أن النسويين يشتركون في السعي إلى هدف واحد، إلا أن النسوية ليست نظرية واحدة موحدة؛ ويرجع هذا التعدد في المنطلقات النظرية إلى وجود اختلافات طبقية، وعرقية، وعمرية، وجنسية بين النساء أنفسهن.[٤٩] وتنقسم النظرية النسوية تاريخيًا إلى ثلاث موجات أو مراحل رئيسية. حيث تشير كل موجة منها إلى نشاط الحركة النسوية خلال فترة زمنية محددة ومعروفة في بعض الأحيان، ولا يعني ذلك مطلقًا أن ظهور كل موجة ينفى تمامًا وجود الأخرى، فقد تتواجد الأفكار والمنطلقات الأيديولوجية لكل موجة جنبًا إلى جنب مع موجات أخرى، وقد يحدث أيضًا أن تستفيد إحدى هذه الموجات من نشاطات سابقتها، أو قد يحدث بينهما صراع يصل إلى حد رفض الأفكار التي تنادي بها الموجة الجديدة، ومحاولة التقليل من شأنها.

١-١: الموجة النسوية الأولى:

تشير الموجة النسوية الأولى إلى نشاطات الحركة النسوية الممتدة خلال القرن الثامن عشر، والتي جاءت كاستجابة لاستبعاد النساء من الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية. وتمثلت أهدافها في منح المرأة حقوق المواطنة السياسية.[٥٠] فطالبت بحق المرأة في التصويت، ودافعت عن حقوقها القانونية والدستورية، وسعت إلى إزالة جميع العقبات القانونية التي تحول دون تكافؤ الفرص.[٥١] فهي موجة المطالبة بحقوق المرأة في التعليم،

وزيادة فرص التحاقها بالوظائف العليا في المجتمع، وحقها في الملكية وحضانة الأطفال، وحق الاقتراع. ويؤرخ لهذه الموجة بظهور مؤلف ماري ولستونكروفت "دفاعًا عن حقوق النساء" الصادر في عام ١٧٩٢.[٥٢] الذي يشكل أول دعوة لنساء الطبقة الوسطى لتوحيد الصفوف، وأوضحت مؤلفة الكتاب أن النساء في حاجة إلى العقلانية، التي سيتوصلن إليها عن طريق التعلم. ولم تكن "ولستونكروفت" تتطلع إلى أن تهجر المرأة نطاق الحياة المنزلية، فصورة المرأة التي طالبت بها في هذا الكتاب هي امرأة تجمع بين الحيوية والذكاء، وتجمع بين المسؤوليات المدنية والمسؤوليات الأسرية.[٥٣] وتميزت هذه الموجة من تاريخ الحركة النسوية بتعدد صور النشاط النسوي من عقد للمؤتمرات واللقاءات الدولية، وتدشين للاتحادات النسائية، وتأسيس للجمعيات المناصرة للمرأة، ونشر العديد من المنشورات النسوية، وكان من نتائج ذلك ان اِعتُمد مصطلح النسوية. كما يُميز هذه الموجة أنه لم يكن لها أطر فكرية تتجاوز حُجج المطالبة بحقوق النساء ومساواتهن.[٥٤]

لقد حاولت المفكرات النسوية الأولى التصدي إلى ما توارثته الذاكرة الجمعية والفردية من أفكار سلبية عن المرأة من خلال صورة المرأة في التراث اليهودي والمسيحي، وصورتها في أعمال ومواقف العديد من المفكرين والفلاسفة الغربين بدءًا بـ(أفلاطون) الذي كان يصنف المرأة في درجة دنيا مع العبيد والأشرار والمرضى، ومرورًا بـ(كانط) الذي كان يصف المرأة بأنها ضعيفة في تكوينها ككل، وبخاصة في قدراتها العقلية، وفيلسوف الثورة الفرنسية (جان جاك رسو) الذي يقول: أن المرأة وجدت من أجل الجنس ومن أجل الإنجاب فقط، و(فرويد) الذي يُرجع كل مشاكل المرأة إلى معاناتها من عُقدة النقص تجاه العضو المذكر، وصولاً إلى الفلاسفة المتأخرين أمثال (ديكارت) من خلال فلسفته الثنائية التي تقوم على العقل والمادة: فيربط العقل بالذكر، ويربط المادة بالمرأة.[٥٥]

وبفضل الدعوات النسوية خلال هذه المرحلة استطاعت المرأة أن تحقق بعض الانجازات في أرض الواقع أهمها زيادة معدلات التحاقها بالمدارس وبعض الجامعات، وحقها في الاقتراع، كما نمت فرص عمل المرأة في بادئ الأمر في المجالات التي كانت تُعد امتدادًا لميدانهن الطبيعي كأمهات، كالعمل بالتدريس، والأعمال الخيرية، والتمريض،

والوظائف المكتبية، وفي مجال الرعاية الاجتماعية. وقد كانت بعض هذه الأعمال غير مدفوعة الأجر للمرأة، إلا أنها أعطتها خبرة قيمة بالعمل الجماعي. وبالرغم من هذه المكاسب إلا أن بقايا فلسفة المجالات المنفصلة ظلت موجودة حتى القرن العشرين، نتيجة للاعتقاد بأن معظم النساء في الأحوال الطبيعية يعيشن حياة هادئة في بيوتهن مع أزواجهن وأطفالهن.[٥٦]

١-٢: الموجة النسوية الثانية:

تشير هذه الموجة إلى النشاطات المرتبطة بحركة تحرير المرأة التي حدثت في الفترة ما بين ستينيات وثمانينيات القرن العشرين، والتي كانت مدفوعة بالرغبة في إعادة إيقاظ المجتمع والنساء لاستمرارية أشكال عدم المساواة بين الجنسين.[٥٧] وتعد هذه الموجة وليدة ظروف اجتماعية واقتصادية معينة، تجسدت في زوال الاستعمار، ونجاح حركات التحرر القومي وحركات مناهضة التمييز العنصري، واشتداد عود الليبرالية الأمريكية؛ التي تدعو إلى المساواة في الحقوق المدنية وإتاحة الفرص للجميع، والثورة الطلابية الشهيرة في فرنسا وأنحاء من أوربا وأمريكا، وما صاحبها من مظاهرات مطالبة بحقوق المرأة وغيرها.[٥٨] وخلال هذه الموجة عُرفت النساء المنضمات لهذه الحركة بالنسويات. فما بين المكاسب التي حققتها الموجة الأولى، وخيبة الأمل التي أصابت بعض النسويات من أن التغيير الذى تحقق لم يمس جوهر الأبنية الأساسية في المجتمع؛ اهتمت نسويات الموجة الثانية بالعلاقات الاجتماعية الأوسع نطاقًا، فقمن بالتركيز على قضايا أثرت بشكل خاص على حياة النساء: كالإنجاب، والأمومة، والعنف الجنسي، والعمل المنزلي.[٥٩] وفي هذه المرحلة بدأت الحركة النسوية تأخذ طابعًا عالميًا يشمل "المرأة" في جميع أنحاء العالم، وسعت لنشر المفاهيم النسوية جماهيريًا، وفيها تجاوزت مطلب المساواة واعتمدت النقد العقلاني، ولغة التحرر من القمع السياسي والاجتماعي والجنسي.[٦٠]

وبالرغم من أن ظهور الموجة الثانية من النسوية ارتبط بصدور كتاب "كيت ميليت" عن السياسات الجنسية في عام ١٩٧٠، إلا أن العديد من الأفكار التي سعت بعض النسويات لمواجهتها وتحديها في هذه الموجة يمكن تتبع أصولها في دراسات "كارل ماركس وفردريك إنجلز" في هذا الإطار، خاصة الكتاب الذي نشره إنجلز بعنوان "أصل العائلة الملكية الخاصة والدولة"، وهو يُعد من أهم الكتب التي اعتمدت عليها

الحركة النسوية؛ حيث يشير بشكل واضح إلى أن النظام الأبوي الذى قام على سيطرة وتفوق الرجل على المرأة ليس السمة الوحيدة التي وسمت المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة، بل أن البشرية عاشت العصر الأمومي، الذي كانت فيه القرابة تحسب وفقًا لخط الأم، وكانت فيه الملكية جماعية، قبل أن يتم التحول إلى النظام الأبوي الذي سيطر فيه الأب على مقاليد الأمور بظهور الملكية الخاصة، وظهور العائلة الأبوية القائمة على الزواج الأحادي. وتدريجيًا تراجعت الحرية الممنوحة للمرأة في المجال العام، وإلزامها فقط بحيز الأسرة لتتحول إلى وعاء لتأمين متعة الرجل ووسيلة لإنجاب الأولاد وتربيتهم وفقًا لنظام صارم يُقره المجتمع. وقد انطلقت جميع الدراسات النسوية اللاحقة من هذه النقطة؛ حيث اعتبرت العصر الأمومي، الذي تلاه العصر الأبوي من المسلمات التي لا تحتاج إلى نقاش.[٦١] ومن المسلمات الفكرية الأخرى التي استندت عليها الموجة الثانية انتقادها الشديد لفكرة الثنائيات التي كانت سائدة في الفكر الغربي (الطبيعة/ الثقافة، الخاص/ العام)، وسعت إلى زعزعة استقرارها؛ حيث ساهمت هذه الثنائيات في اعتبار النساء "الآخر" بالنسبة للرجال. وقد عملت هذه الثنائيات على بناء وتجنيس المعاني المرتبطة بفئة الذكور والإناث، ومن خلالها ظهرت الفروق بين الجنسين.[٦٢]

ويبدو أن الطابع التحرري الذى اتسمت به هذه الموجة، دفع روادها إلى المطالبة بتحرير المرأة من كل أعباء الحياة الأسرية التي قد تعوق من انطلاقها في المجال العام، فإلى جانب المطالبة بالمساواة في الأجور، والمساواة في التعليم، طالب المشاركون في أحد المؤتمرات التي عقدت عام ١٩٧٠ بضرورة إنشاء حضانات لرعاية الأطفال تعمل على مدار اليوم، وطالبوا بحرية المرأة في استخدام وسائل منع الحمل، واللجوء إلى الاجهاض إذا ما تطلب الأمر.[٦٣] ونتيجة لذلك رأى بعض الكتاب بأن النسوية خلال هذه الموجة بدت وكأنها معادية لقضيتي الأمومة والإنجاب باعتبارهما من الأمور التي تعوق تقدم المرأة في مجالات الحياة المختلفة.[٦٤] وفي ظل هذا النقاش والجدال الذى كان محتدمًا انقسمت الحركة النسوية في هذه الموجة إلى تيارات عديدة ومتباينة، تشير أغلب الأبحاث إلى أربعة رئيسية منها، هي:

١-٢-١: النسوية الماركسية:

يستلهم النسويون الماركسيون كتابات "ماركس وإنجلز" في محاولتهم تطبيق نموذج ماركس الرأسمالي على خبرات وأحوال النساء، لذا فهم يتخذون من آرائه وأعماله أساسًا لنظريتهم. وتمثل بعض المفاهيم مثل الخضوع والاستغلال أهمية فائقة لدى النسويين الماركسيين، لأنهم يرون أنها بمثابة المفتاح لفهم عدم المساواة بين الجنسين في المجتمع المعاصر. حيث ركزوا على فكرة أن الوضع المقهور للنساء يرجع مباشرة إلى الاقتصاد الرأسمالي. فالرأسمالية تؤدي إلى تراكم الثروة، ومن ثم يحرص الرجال على أن يكون لهم ورثة شرعيون يرثون تلك الثروة التي جمعوها.[٦٥] ويرى نسويو هذا التيار أن قمع المرأة وقهرها بدأ مع ظهور الملكية الخاصة. فنقل الملكية بالإرث سبب مأسسة للعلاقات غير المتوازنة وتوزيعًا للأعمال على أساس من التمييز الجنسي. وقد شيدت الرأسمالية نظامًا للعمل يميز بين المجالين الخاص والعام: فللرجل العمل المنتج والمدفوع الأجر، وللمرأة الأعمال المنزلية المجانية غير المصنفة ضمن الانتاج.[٦٦]

وبرغم أن النسويين الماركسيين يستمدون إلهامهم من ماركس، إلا أنهم يوجهون إليه بعض الانتقادات. ويرجع عدم رضائهم عن ماركس إلى عدم اهتمامه بالنساء كجماعة اجتماعية، وعدم الانشغال بدراستهن.[٦٧] لقد نظرت الماركسية إلى "وضع النساء في المجتمع" باعتباره مسألة سيتم تسويتها وحلها بعد حدوث الثورة الشيوعية، وإلغاء الملكية الخاصة والطبقات.[٦٨] كما تنتقد العديد من القراءات النسوية وجهة النظر الماركسية بشأن عمل المرأة، لقد افترض "ماركس" أن المرأة لا تقدم أي عمل سواء في المجالين العام أو الخاص. وتؤكد بعض النسويات على أن "ماركس" لم يكن يفترض أي وجود للمرأة على الإطلاق، ولم يعترف بها إلا داخل سياقات أساسية كتقديم الرعاية، والانجاب، والعزلة المنزلية. وتذهب بعض النسويات إلى أنه لا يجوز التقليل من قيمة الأعمال التي تقدمها الزوجة، فهي ترتبط مع زوجها من أجل إنجاب قوة العمل الجديدة.[٦٩]

كما يرى النسويون أن الماركسية لم تستطع أن تفسر مجمل تجربة المرأة التاريخية، وأن هناك أشكالًا أخرى من الاضطهاد لا تمتد جذورها للرأسمالية بشكل واضح، مثل: الاغتصاب، التحرش الجنسي، الهيمنة الثقافية للذكور على اللغة والمعرفة، هيمنة الذكور على أماكن العمل والسياسة. كل هذا بدا وكأنه يعزز الحجة النسوية القائلة بأن المشكلة

الحقيقية بالنسبة للنساء هي الرجال وليست الرأسمالية، وأن اختزال الماركسية لمشكلة المرأة مع العمل مدفوع الأجر في "الأيديولوجيا العائلية" التي تنظر إليها باعتبارها وسيلة لإنجاب العمالة اللازمة للرأسمالية، وفي "المجال المادي للعمل المنزلي" الذى يعد جزءًا لا يتجزأ من التقسيم النوعي للعمل؛ جميعها أمور لا يمكن أن تفسر لنا بشكل واضح أسباب قيام المرأة بمعظم الأعمال المنزلية.(٧٠)

ونتيجة لذلك سعى النسويون الماركسيون إلى ربط اضطهاد المرأة بأفكار "ماركس" التي تتعلق باستغلال الرأسمالية لجهود الطبقات العاملة، واستغلال المجتمع الأبوي لجهود النساء باعتبارهن عاملات منتجات (إنجاب الأطفال والعمل المنزلي) لا يملكن وسائل الانتاج ويتم استغلال جهودهن، شأنهن شأن العامل المستغل من قبل صاحب العمل. وقد طرحت بعض النسويات الماركسيات فكرة أن النساء يشكلن طبقة مستغلة، أوضاعها أسوأ من أوضاع الطبقة العمالية، ففي حين تتواجد الطبقة العمالية في مكان واحد هو المصنع، وتنتظم قواها ضمن نقابات، تتبعثر النساء في منازل متفرقة، وتنعزلن عن بعضهن مما يجعل توحيد جهودهن على درجة كبيرة من الصعوبة. وتركز النسوية الماركسية على إحداث تغيير مجتمعي شامل، لا على تغيير الفرد المكون لهذه المجتمعات. فبتحويل وسائل الانتاج إلى ملكية عامة، لن تبقى الأسرة وحدة المجتمع الاقتصادية، وتغدو العناية بالأطفال وتربيتهم من شئون المجتمع ككل، مما سيحرر المرأة من العمل المنزلي. ويذهب النسويون الماركسيون إلى أن خروج المرأة إلى العمل سيؤمن لها الاستقلال الاقتصادي الكفيل بتحقيق المساواة بينها وبين الرجل، كما أنهم ينادون بزوال شكل الأسرة القائم على سيطرة الرجل الاقتصادية والاجتماعية، وبقاء العلاقة الانسانية القائمة على الحب المتبادل فقط.(٧١)

١-٢-٢: النسوية الليبرالية:

النسوية الليبرالية "جماعة أقلية" داخل النظرية النسوية، تتبنى أفكارًا أقل راديكالية (تطرفًا) وأقل إثارة للجدل من الفروع الأخرى للنظرية النسوية.(٧٢) ويطلق على هذا التيار في بعض الأحيان "نسوية الحقوق المتساوية"، ويتميز بالتركيز على الإصلاح بدلاً من الثورة الصريحة.(٧٣) ويُنسب هذا التيار إلي خط الثورة الفرنسية وامتداداته الفكرية، ويستند إلى مبادئ المساواة والحرية للمطالبة بحقوق للمرأة مساوية لحقوق

الرجل في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية. ويتميز هذا التيار بإيمانه بقدرة النظام الرأسمالي على الكمال وعلى التكيف مع المتغيرات. ويعمل المنتمون إلي هذا التيار من أجل أن يوفر النظام القائم نفس الفرص والحقوق للنساء والرجال، من خلال التركيز على التربية وتغيير القوانين المميزة بين الجنسين.[٧٤]

ويركز هذا التيار على قدرات المرأة وإمكانياتها في الحصول على حقوقها والمحافظة عليها من خلال نشاطها وفاعليتها واختيارها، عندما تُؤَمن لها الحرية وكافة الحقوق الأخرى. وقد يحدث ذلك دون تغيير في البنى الاجتماعية. فالمساواة بين الرجل والمرأة وفقا لهذا التيار تأتي من خلال صياغة القوانين.[٧٥] ويؤكد نسويو هذا التيار على أن عدم المساواة بين الجنسين إنما هي نتيجة لتقسيم العمل على أساس الجنس. فالمجتمع –من وجهة نظرهم– يؤيد التوجه الذي يُحتم وجود مجال عام ومجال خاص، حيث يتركز الرجال في المجال العام، بينما توضع النساء في المجال الخاص، وتعمل التنشئة الاجتماعية على غرس هذه الأفكار وتدعيمها، بحيث ينمو الأطفال وهم متقبلون مكانهم في سوق العمل المقسم وفقًا للنوع.[٧٦]

ويرى النسويون الليبراليون أن الزواج يمثل أحد الظواهر الثقافية والبنائية التي تقوم على الانحياز الجنسي للرجل، ويكرث لمظاهر عدم المساواة بين الجنسين في توزيعات الأدوار. ففي الوقت الذي يبدو فيه الرجل مقيدًا ومثقلاً بالهموم كنتيجة لانخراطه في أعمال خارجية، فإن له الحق في الحصول على رعاية منزلية، وعاطفية، وجنسية في منزله. وفي نفس الوقت تلتزم الزوجة بالمطلب الثقافي الذي يفرض عليها أداء الواجب، ويلزمها بتقدم الرعاية للزوج. ويرى نسويو هذا التيار أن صور عدم المساواة بين الزوجين لن تتوقف داخل الأسرة، إلا إذا شعر الزوجان بالتحرر من كافة القيود المؤسسية السائدة، بحيث يتمكنا من التفاوض والاتفاق على أفضل وضع يريدونه لتوزيع المهام والأدوار داخل الأسرة، والذي يحقق لكل فرد منهما احتياجاته الفردية ورضائه الشخصي. ويناضل النسويون الليبراليون ضد القوانين والممارسات التي تمنح الرجال حقوقًا تمنعها عن النساء، كما يضغطون على الحكومات، من أجل تدعيم التشريعات التي تجرم التمييز على أساس الجنس.[٧٧]

خلاصة القول، لا يستهدف النسويون الليبراليون تطوير فهم دقيق ومتعمق للأسباب البنائية المسؤولة عن استغلال المرأة، ولا يسعون لتتبع تاريخ القهر الذي تعرضت له، وإنما يسعون إلى تحقيق المساواة بين الجنسين، ويؤمنون بأن المساواة لن تتحقق إلا عبر القنوات السياسية، والاقتصادية، والتشريعية.[٧٨] ولدى النسويين الليبراليين تسليم بأن الأسرة مؤسسة ضرورية، ولا يفكرون في قضية المرأة إلا داخل الأسرة، إنها "مشكلة المرأة في الأسرة".[٧٩] لذا فهم لا يطالبون بالقضاء عليها كما نادت بذلك بعض التيارات النسوية الأخرى، وإنما يطالبون فقط بإجراء بعض الاصلاحات القانونية والسياسية في المجتمع، التي سيكون من شأنها ضمان المساواة بين الجنسين. ويمثل الفكر الإصلاحي الذي يتبناه نسويو هذا التيار واحدًا من أهم أوجه النقد التي وجهت إليهم من التيارات النسوية الأخرى التي ترى أن الأيديولوجيات السائدة حول مشاركة المرأة في المجال العام لا يمكن إصلاحها وإنما تستوجب القضاء عليها كليةً.[٨٠]

١-٢-٣: النسوية الاشتراكية:

لم تقتنع نسويات هذا التيار بما طرحته الماركسية من أن القضاء على النظام الرأسمالي كاف وحده للقضاء على الاستغلال الذي تتعرض له المرأة، بل اعتبرن أن المجتمع يتضمن بنيتين مسيطرتين هما النظام الرأسمالي والنظام الأبوي، وكلا النظامين يستغل النساء ويضطهدهن.[٨١] ويرى نسويو هذا التيار أن الوضع السابق، ساهم في تقسيم المجتمع بين الرأسماليين من جهة، وبين الرجال من جهة أخرى. فاتخذ الرجال خطوات نحو استبعاد النساء من سوق العمل، أو قصر فرصهن في العمل على الأعمال النسائية فقط. وتواطأ الرأسماليون مع هذا الوضع إلى أن يحدث نقص في قوة العمل، فيقبلون ساعتها على تشغيل النساء على نطاق واسع للاستفادة من عمالتهن الرخيصة إلى أن يتحسن الأمر فيعاد الأمر على ما كان عليه. وقد ظهر ذلك بجلاء في الإقبال واسع النطاق على تشغيل النساء خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، وبعد أن عاد الرجل من الحرب تكفل نظام سلطة الأب بإعادة النساء مرة أخرى إلى المجال الخاص داخل المنزل من جديد، أو إلى تلك النوعية من الأعمال التي تعد أكثر ملاءمة للنساء.[٨٢]

وفي سبعينيات القرن العشرين نشر مجموعة من النسويين الاشتراكيين مقالة بعنوان "النسوية الاشتراكية: استراتيجية للحركة النسائية"، قدموا فيها تصورًا واضحًا

للمبادئ التي يستند عليها المجتمع النسوي الاشتراكي المنشود، واعتبروا هذه الرؤية للمجتمع بمثابة معارضة مباشرة للمجتمعات المعاصرة التي تقوم على أي شكل من أشكال الهيمنة، سواء على أساس الجنس أو العرق أو الطبقة. ومن المبادئ التي طالب بها هؤلاء الاشتراكيون سيطرة النساء على أجسادهن من خلال الحصول على وسائل لتنظيم الحمل، والإجهاض، والتعقيم، والاحترام الاجتماعي لأي عمل تقوم به النساء، وضرورة وجود مجالس ديمقراطية يمكن للنساء من خلالها السيطرة على القرارات التي تؤثر بشكل مباشر على حياتهن في العمل، في المنزل، وفي المجتمع.[٨٣] كما طالب نسويو هذا التيار بحرية الإنجاب، والمسؤولية الوالدية المشتركة، وتقييم العمل المنزلي اقتصاديا، وربط الخاص بالعام.[٨٤]

١-٢-٤: النسوية المتطرفة (الراديكالية):

ظهرت النسوية الراديكالية في البداية في الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر الستينيات من القرن العشرين، ولم تبدأ الدعوة إليها في انجلترا إلا في أواخر السبعينيات.[٨٥] يهدف هذا التيار إلى التعويض عن بعض النواقص في النسوية الليبرالية والماركسية من خلال التأكيد على الطابع العام والعابر لأشكال السيطرة والتمييز ضد النساء العابرة للثقافات، والمستقل عن الطبقات.[٨٦] وتتميز النسوية الراديكالية عن المدارس النسوية الأخرى بعدة ملامح رئيسية: فهي تسعى إلى خلق فضاءات نسائية خالصة تستطيع فيها المرأة العيش بحرية تامة بعيدًا عن سلطة الرجل وهيمنته، ويمثل تنظيم المرأة سياسيًا هدفها الأسمى.[٨٧] وتؤمن النسوية الراديكالية بأن السلطة الذكورية هي أساس التمييز ضد النساء والسيطرة عليهن التي تنسحب على ميادين الحياة المختلفة، وتخلق نظام تنميط للجنسين من خلال ثقافتين: واحدة ذكورية مُسيطرة، وأخرى نسائية خاضعة.[٨٨] وترى أن هذا النظام لا يمكن إصلاحه، ولكن يجب القضاء عليه كليةً، لا على المستوى السياسي والقانوني فحسب ولكن على المستوى الاجتماعي والثقافي أيضًا.[٨٩]

وتمثل "الثورة الجنسية" واحدة من أهم الاستراتيجيات التي يؤمن بها النسويون الراديكاليون في إحداث التغيير-متأثرين في ذلك بالفكر الماركسي عن ثورة البروليتاريا- حيث يرى النسويون الراديكاليون أن حل المشكلات التي تواجهها النساء في المجتمع إنما يكون بالقيام بثورة جنسية تمكنهن من تكوين وعي مشترك، ورفض الضغوط الواقعة

عليهن من نظام السلطة الأبوية، وأن يشكلن كيانًا واحدًا في مواجهة هيمنة النظام الأبوي.[٩٠] كما أنها ستسمح بالقضاء على التقسيم الجنسي للعمل القائم على مبادئ بيولوجية؛ وبذلك يصبح الطريق ممهدًا للقضاء على الأبنية الاجتماعية والثقافية – كالأسرة، والزواج، الأمومة– التي تقدم الدعم الأيديولوجي لهذا التقسيم الجنسي للعمل.[٩١] ولم يقدم النسويون الراديكاليون تصورات واضحة أو كافية بشأن كيفية القيام بالثورة الجنسية التي زعموا ضرورة قيام النساء بها، كما أنهم لم يحددوا بشكل دقيق طبيعة الأطراف المشاركة فيها، هل هم النساء فقط؟ أم يشاركهن في ذلك أطراف مجتمعية أخرى.

وفي ضوء هذه التوجهات الفكرية التي يؤمن بها النسويون الراديكاليون، تنقسم النسوية الراديكالية إلى تيارين رئيسيين: الراديكالية التحررية والراديكالية الثقافية الحضارية. ولعل ما يهمنا هنا هو المنطلقات الفكرية للراديكالية التحريرية التي تنطلق من دور المرأة في العلاقة الجنسية والإنجاب، وتنادي بالقضاء على الأسرة لأنها من وجهة نظرهم المؤسسة التي قهرت المرأة وحصرت أدوارها في مجال المنزل والأعمال الرعائية. وتنادي بتحطيم قداسة الأسرة بسبب عدم المساواة القائمة فيها. وتذهب النسويات الراديكاليات إلى أن الأسرة وضعية ثقافية وليست طبيعية، ووظيفة الأيديولوجيا الذكورية السائدة أن تقدمها على أنها طبيعية. وتحاول النسوية الراديكالية تفنيد قضية الحتمية البيولوجية التي فرضت على المرأة وضعًا أدنى، مؤكدة على أن التمايز البيولوجي للمرأة يمثل خصوصية للمرأة تميزها عن الرجل، وربما يجعلها أرقى من الرجل خصوصًا في تفردها العظيم بالقدرة على إنجاب الأطفال. وعلى العكس من ذلك، ينادي فريق آخر من النسويات التحرريات بضرورة تحرر المرأة من أعباء الحمل والولادة ورعاية الأطفال؛ باعتبارها تمثل السبب الرئيسي لخضوع المرأة. ويؤكدن أيضًا على حق المرأة في الإجهاض وممارسة الجنس خارج مؤسسة الأسرة، ودافعن عن الحق في ممارسة السحاق. ولم يقتصر الأمر على هذا الحد، وإنما دافع هؤلاء النسوة عن الجنسية المثلية، والأسرة السحاقية، والأسرة اللواطية كنماذج للأسرة الجديدة.[٩٢]

وبالرغم من أن هذه الدعاوى المنفلتة التي أثارتها النسويات الراديكاليات كانت الأعلى صوتًا والأكثر جاذبية لوسائل الإعلام، والأكثر شهرة، إلا أن دعاواهن لا تحظ

بقبول واسع بين النسويات أنفسهن، بل إن جمهرة الاتجاهات النسوية الأخرى تتبرأ من الراديكالية التحررية المتطرفة، وتحذر من مغبة دعاواها. ويرين أن الهدف من الإطاحة بالمركزية الذكورية إثبات الأنوثة بجوار الذكورة في البنى الحضارية وليس إحلال المركزية الأنثوية محلها؛ فمن الضروري الموازنة بين الجانبين، وتطوير المؤسسات التقليدية في هذا الاتجاه. ويؤكدن على أن مشكلة الأعباء المنزلية لن تحل بسحق الأسرة والإعراض عن الإنجاب، بل بالتعاون في أدائها، وإعادة توزيع الأدوار بشكل متساوٍ بين الرجال والنساء لتحل مسؤولية الوالدين محل الأمومة. وكنتيجة لهذه الدعوات ظهر في ثمانينيات القرن العشرين مصطلح "*الرجل الجديد*" الذي يناصر الأيديولوجيا النسوية، ويقبل بإعادة توزيع الأدوار، والقيام ببعض الأعباء المنزلية مقاسمة مع المرأة. ويرمز له برجل مقطوع الرأس مفتول العضلات بالغ الوسامة والرجولة، ويحمل طفلاً، للاهتمام بتنمية الجانب الرعائي في شخصية الرجل.[٩٣]

١-٣: الموجة الثالثة (ما بعد النسوية):

ظهرت الموجة النسوية الثالثة في الولايات المتحدة الأمريكية في تسعينيات القرن العشرين، وفي بريطانيا في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.[٩٤] وتزعم هذه الموجة جيلاً جديدًا من الكتاب الشبان أطلقوا على أنفسهم "النسويون الجدد". وعرفت هذه الموجة بأنها "بنية فكرية جديدة، متميزة عن الموجة النسوية الثانية في كونها تتبع النهج التفكيكي، حيث تسعى لتفكيك البُنى المعرفية التقليدية، وتنتقد بشدة نهج التكافؤ والمساواة الذى اتبعته الموجة النسوية الثانية في تعاملها مع قضية الثنائيات التي ميزت الفكر الغربي (العام/ الخاص، الرجل/ المرأة، الطبيعة/ الثقافة)؛ مؤكدة على أن هذا النهج محدود في نهاية المطاف، وترى ضرورة البدء من منظور التنوع والاختلاف".[٩٥] وعرفت هذه الموجة في الكتابات النسوية بـ "ما بعد النسوية" وهو مصطلح يشير إلى موقف معادٍ للنسوية، ويُستخدم في بعض الأحيان لوصف موقف نظري متأثر بفكر ما بعد الحداثة.[٩٦] وقد ظهر هذا المصطلح في الثمانينات للإشارة إلى حالة التحرر من الأيديولوجيات المقيدة للحركة النسوية. فهي مجموعة الأفكار والمواقف التي تتجاهل أو ترفض الأفكار النسوية التي تميزت بها حقبة الستينيات من القرن العشرين والعقود التي تلتها.[٩٧]

استعان منظرو الموجة الثالثة للنسوية بالأفكار التي طرحها منظرو ما بعد الحداثة والبنيويون الجدد من أمثال "ميشيل فوكوه" و"جاك دريدا" بشأن تفكيك البني المعرفية التقليدية، وكسر القوالب النمطية الجامدة؛ لذا شاع بين النسويين الجدد استخدام مصطلحات كالتفكيك، الاختلاف، واللااستمرارية لكل شروط المعرفة، ومصادرها، ومعاييرها، ومناهجها، وموقف العارف، وتأثير الذات العارفة في العملية المعرفية.[٩٨] لقد رأت نسوية ما بعد الحداثة أن النظريات البنيوية تسهم بشكل كبير في انتاج نوع من المعرفة يسهم في تهميش النساء من مجالات الحياة المختلفة، وقصر أدوارهن على مجالات محددة، كما أنها تضفى شرعية على الاختلافات بين الذكور والإناث. وتقدم نسوية ما بعد الحداثة منهجًا لتفكيك البنى المعرفية التقليدية كأدوار النوع الاجتماعي، والتصورات الثقافية السائدة حول الذكورة والأنوثة. ومثلما انتقد مفكرو ما بعد الحداثة مبدأ الثنائية الذى يستند عليه مفهوم الذات الديكارتية، انطلقت أيضًا نسويات ما بعد الحداثة من نقد المنظور الديكارتي الثنائي للذات (العقل/ الجسد، الذكر/ الأنثى)، وهو منظور للذات قام بالنظر للنساء باعتبارهن أدنى مرتبة من الرجال؛ وبالتالي ترى نسويات ما بعد الحداثة أن تغيير تصوراتنا عن الذات هو مهمة حيوية وضرورية، وأنه بدونها لن يتمكنوا من تغيير أشكال عدم المساواة الراسخة في البناء المعرفي.[٩٩]

لقد حاول منظرو النسوية ما بعد الحداثية تقديم رؤية مغايرة للذات، فالذات عندهم لا تُشَكِل، وإنما تُشَكَل تبعًا لعديد من الممارسات الخطابية، وهي نقطة انطلاق تبتعد جذريًا عن الذات الديكارتية التي تخلق المعرفة، وتكون عارفة، ومنتجة، وسيدة على معرفتها. أما بالنسبة لنسويات ما بعد الحداثة، فإن الذات هي نتاج الثقافة، وتحديدًا أن الخطابات المتعددة حول الذات، هي التي تشكلها. وهو أمر مهم بالنسبة للنسويات اللاتي يسعين للتأكيد على أن الذوات الأنثوية أو الذكورية ليست فطرية كامنة وإنما مُتشكلة.[١٠٠] وبما أن مفهوم النوع الاجتماعي والأدوار المرتبطة به – التي تختلف باختلاف جنس الذات– مقولة اجتماعية، لا مجرد مقولة بيولوجية فقط، فان نوع الذات العارفة جزء لا يتجزأ من منظورها الاجتماعي، أي أن عملية إنتاج المعرفة عند الذكور والإناث، لا يمكن فهم شروطها ومقتضياتها إلا ضمن كونها ممارسات للذكور والإناث باعتبارهم يمثلون فئات اجتماعية لها منظوراتها الخاصة.[١٠١]

ولفهم كيفية اسقاط الفكر ما بعد الحداثي على الفكر ما بعد النسوي، فإنه مثلما نظر فوكوه إلى الخطابات باعتبارها ممارسات تتكون من أفكار وأيديولوجيات تقوم بشكل منظم ببناء وتشكيل الذوات والموضوعات التي تتحدث عنها، وبالتالي تكون الخطابات جزءًا أساسيًا في صياغة الواقع الاجتماعي المعاش. فإن النسويات المتأثرات بنظرية ما بعد الحداثة يهتمون بدراسة المجالات الخطابية المتأثرة بعلاقات وأدوار النوع الاجتماعي التي يدور فيها البشر، وكيف يتم عبر الخطاب توصيل الأساليب الذكورية في النظر للعالم، بما في ذلك الخطاب من لغة ورموز وأيديولوجيا وغيرها.[١٠٢] كما أنهن مهتمات بتحليل كيفية انتاج النوع الاجتماعي -والأدوار المرتبطة به- داخل مجالات خطابية محددة، والدور الذي يلعبه النوع الاجتماعي في فهم النساء لخبراتهن الذاتية. ويؤكد العديد من كتاب الموجة النسوية الثالثة، أن أدوار الأنوثة والذكورة تعاش بطرق معقدة ومتناقضة على نحو متزايد عبر سياقات اجتماعية متعددة.[١٠٣]

وبالتالي، فإنه إذا كانت الموجات الأولى من النسوية مثلت قيم الحداثة بشأن تحرير الإنسان، ورفع الوصاية عنه، والمساواة، وحقوق المواطنة وغيرها، فإن موجتها الثالثة تمثل قيم ما بعد الحداثة. لقد استطاعت قيم ما بعد الحداثة أن تُملى على النسوية الحديثة منطلقاتها الفكرية الجديدة. ومثلما أدت الثورة الصناعية إلى انطلاق موجتها الأولى، أتت الموجات المتلاحقة منها كنتيجة للثورة التكنولوجية في القرن العشرين والتطور الاجتماعي الحاصل فيه. ولئن حررت الآلة العبيد، فإن النساء تحررن في القرن العشرين بفعل انتشار الأجهزة المنزلية، والصناعات التحضيرية للمأكولات والملبوسات، التي خففت الأعباء المنزلية، وارتفع المستوى الصحي وأصبح من الممكن الاكتفاء بعدد محدود من الأطفال. ومع اختراع وسائل منع الحمل وتنظيم الأسرة، لم يعد الحمل والولادة والإرضاع يستغرق سنوات العمر الإنجابي الطويل للمرأة كما كان يحدث من قبل. لقد توافرت صور تنظيم الحياة العائلية بصور أكثر إيجابية. وبات كل شيء ينادي بمزيد من الفرص والحقوق والواجبات للمرأة خارج إطار دورها كأثني وربة منزل فقط. لقد أصرت هذه الموجة على ضرورة أن يتشارك الرجال والنساء في عبء رعاية الأطفال والأعمال المنزلية، وألا تنفرد المرأة بهذه المسؤولية وحدها.[١٠٤]

الهوامش

(1) Bailyn, Lotte. "Re-linking work and family: A Catalyst For Organizational Change." (1996). p.2.

(٢) أنظر:

- Wharton, Amy S. *The Sociology of Gender: An Introduction to Theory and Research*. John Wiley & Sons, 2009. p.83.
- Giddens, Anthony. "The Family and Gender." *Sociology*. Palgrave, London, 1986. pp.115-116.

(3) Ibid. p.117.

(4) Ibid. p.85.

(5) Wharton, Amy S. Op. Cit. pp.84-85.

(6) Wharton, Amy S. Op. Cit. p.86.

(7) Crompton, Rosemary. *Employment and the family: The reconfiguration of work and family life in contemporary societies*. Cambridge University Press, 2006. p.2.

(8) Healy, Lisa. "Capitalism and the Transforming Family Unit: A Marxist Analysis." *Ed: Cliona Barnes, Amanda Haynes, Patricia Neville, Martin Power, Limerick Student Journal of Sociology, SOCHEOLAS* 2.1 (2009): 18-35. pp.24-25.

(9) Reed, Kate. New directions in social theory: Race, gender and the canon. Sage, 2006. pp.25-26.

(10) Healy, Lisa. Op. Cit. p.20.

(11) Ibid. pp.20-21.

(12) Ibid.pp.21-23.

(13) Ibid. p.23.

(14) Reed, Kate. Op. Cit. pp.25-26.

(15) Lucas-Thompson, Rachel G., and Wendy A. Goldberg. "Gender ideology and work–family plans of the next generation." *Gender and the work-family experience*. Springer, Cham, 2015. pp.3-19.

(16) Lamanna, Mary Ann. *Emile Durkheim on the family*. Vol. 20. Sage, 2001. pp.163-166.

(17) Ibid. p.180.

(18) Mestrovic, Stjepan. *The coming fin de siècle: an application of Durkheim's sociology to modernity and postmodernism*. Routledge, 2010. pp.181-183.

(19) Adams, Bert N., and Rosalind Ann Sydie. *Sociological theory*. Pine Forge Press, 2001. pp.108-112.

(20) Ibid. p.111.

(21) Ibid. p.111.

(22) Ibid. p.113.

(23) Lamanna, Mary Ann. Op, Cit. p.216.

(٢٤) إيميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة: حافظ الجمالي، الطبعة الثانية، بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع الإنسانية، ١٩٨٢.

(25) Adams, Bert N., and Rosalind Ann Sydie. Op, Cit. p.189.

(26) Thomas, J. J. R. "Rationalization and the status of gender divisions." *Sociology* 19.3 (1985): 409-420.

(27) Blustone, Leslie David. *Max Weber's theory of the family*. Diss. City University of New York, 1982. p.144.

(28) Thomas, J. J. R. Op, Cit. pp.409-420.

(29) Ibid. p.414.

(30) Adams, Bert N., and Rosalind Ann Sydie. Op, Cit. p.179.

(31) Thomas, J. J. R. Op, Cit. p.414.

(32) Sydie, Rosalind Ann. *Natural women, cultured men: A feminist perspective on sociological theory*. UBC Press, 1994. p.59.

(33) Holmes, Mary. *What is gender?: Sociological approaches*. Sage, 2007. pp.4-5.

(34) Crompton, Rosemary. Op, Cit. pp.31-32.

(35) Adams, Bert N., and Rosalind Ann Sydie. Op, Cit. p.20.

(36) Adams, Bert N., and Rosalind Ann Sydie. Op, Cit. pp.20-21.

(٣٧) سامية مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، الطبعة الأولى، القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٨، ص٤٢.

(38) Holmes, Mary. Op, Cit. p.5.

(39) Parsons, Talcott, Robert Freed Bales, and James Olds. *Family socialization and interaction process*. Vol. 7. Psychology Press, 1956.pp.35-131.

(40) Ibid. pp.35-131.

(41) Adams, Bert N., and Rosalind Ann Sydie. Op, Cit. p.20.

(42) Holmes, Mary. Op, Cit. pp.5-6.

(43) Adams, Bert N., and Rosalind Ann Sydie. Op, Cit. p.20.

(44) Ritzer, George, and Barry Smart, eds. *Handbook of social theory*. Sage, 2001. p.164.

(45) Wharton, Amy S. Op. Cit. pp.88-92.

(46) Ibid. pp.92.

(٤٧) يمنى طريف الخولي، النسوية وفلسفة العلم، المملكة المتحدة :هنداوي سي آي سي، ٢٠١٨، ص١١.

(48) Robinson, Victoria, and Jenny Hockey. *Masculinities in transition*. Springer, 2011.p20.

(٤٩) ميل تشيرتون وآن براون، علم الاجتماع: النظرية والمنهج، ترجمة: هناء الجوهري، الطبعة الأولى، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢، ص ص١٢٦-١٢٧.

(50) Gillis, Stacy, Gillian Howie, and Rebecca Munford, eds. *Third wave feminism*. New York: Palgrave Macmillan, 2004.pp.1-5.

(51) Evans, Elizabeth. *The politics of third wave feminisms*. Palgrave Macmillan, 2014.p.5.

(٥٢) مية الرحبي، النسوية مفاهيم وقضايا، الطبعة الأولي، دمشق: دار الرحبة للنشر والتوزيع، ٢٠١٤، ص١٥.

(٥٣) سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية: دراسات ومعجم نقدي، ترجمة: أحمد الشامي، الطبعة الأولى، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٢، ص٤٠.

(٥٤) يمنى طريف الخولي، مرجع سابق، ص ص٢٤-٢٦.

(٥٥) مية الرحبي، مرجع سابق، ص١٦.

(٥٦) سارة جامبل، مرجع سابق، ص ص٥٠-٥٤.

(57) Evans, Elizabeth. Op. Cit. p5.

(٥٨) يمنى طريف الخولي، مرجع سابق، ص٢٧.

(59) Gillis, Stacy, Gillian Howie, and Rebecca Munford, eds. Op. Cit.pp.1-5.

(٦٠) مية الرحبي، مرجع سابق، ص١٧.

(٦١) نفس المرجع السابق، ص ص١٧-١٨.

(62) Budgeon, Shelley. *Third-wave feminism and the politics of gender in late modernity*. Springer, 2011.p.4.

(٦٣) سارة جامبل، مرجع سابق، ص٦٠.

(64) Hallstein, D. *White feminists and contemporary maternity: Purging matrophobia*. Springer, 2010.pp.3-5.

(٦٥) ميل تشيرتون وآن براون، مرجع سابق، ص ص١٢٩-١٣٠.

(٦٦) أحمد عمرو، النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية: قراءة في المنطلقات الفكرية، المركز العربي للدراسات الإنسانية، التقرير الاستراتيجي الثامن، ٢٠١١، ص ص١٤٤-١٤٥.

(٦٧) نفس المرجع السابق، ص ص١٢٩-١٣١.

(68) Tormey, Simon, and Jules Townshend. *Key thinkers from critical theory to post-Marxism*. Vol. 13. Sage, 2006. p.113.

(69) Goodman, Robin Truth. "Gender work: Feminism after neoliberalism." *Gender Work*. Palgrave Macmillan, New York, 2013. p.21.

(70) Tormey, Simon, and Jules Townshend. Op. Cit. p.114.

(٧١) مية الرحبي، مرجع سابق، ص٢٤.

(٧٢) ميل تشيرتون وآن براون، مرجع سابق، ص١٥٠.

(73) Mackay, Finn. *Radical feminism: Feminist activism in movement*. Springer, 2015. p.57.

(٧٤) أحمد عمرو، مرجع سابق، ص١٤٥.

(٧٥) مية الرحبي، مرجع سابق، ص٢٥.

(٧٦) ميل تشيرتون وآن براون، مرجع سابق، ص١٥٠.

(٧٧) نفس المرجع السابق، ص ص١٥١-١٥٤.

(٧٨) نفس المرجع السابق، ص١٥٤.

(٧٩) يمنى طريف الخولي، مرجع سابق، ص٢٣.

(80) Mackay, Finn. Op. Cit. pp.57-58.

(٨١) مية الرحبي، مرجع سابق، ص٢٥.

(٨٢) نفس المرجع السابق، ص١٤٥.

(83) Chapter, Hyde Park, et al. "Socialist feminism: a strategy for the women's movement." *Chicago, IL: Women's Liberation Union. Retrieved on* 13 (2007).

(٨٤) مية الرحبي، مرجع سابق، ص٢٥.

(85) Mackay, Finn. Op. Cit. pp.60-61.

(٨٦) مية الرحبي، مرجع سابق، ص٢٦.

(87) Mackay, Finn. Op. Cit. pp.61-67.

(٨٨) مية الرحبي، مرجع سابق، ص٢٦.

(٨٩) أحمد عمرو، مرجع سابق، ص١٤٥.

(٩٠) ميل تشيرتون وآن براون، مرجع سابق، ص ص١٤٠-١٤١.

(٩١) سارة جامبل، مرجع سابق، ص٦٨.

(٩٢) يمنى طريف الخولي، مرجع سابق، ص ص٢٩-٣١.

(٩٣) نفس المرجع السابق، ص٣١.

(94) Evans, Elizabeth. Op. Cit. p6.

(95) Budgeon, Shelley. Op. Cit. pp.4-8.

(96) Ibid. p23.

(٩٧) سارة جامبل، مرجع سابق، ص٧٨.

(٩٨) مية الرحبي، مرجع سابق، ص٣٢.

(٩٩) شارلين ناجي هيسي-بيبر وباتريشا لينا ليفي وآخرون، مدخل إلى البحث النسوي: ممارسة وتطبيقًا، ترجمة، هالة كمال، الطبعة الأولى، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥، ص ص١٥٠-١٥١.

(١٠٠) نفس المرجع السابق، ص١٥٥.

(١٠١) مية الرحبي، مرجع سابق، ص ص٣٢-٣٣.

(١٠٢) شارلين ناجي هيسي-بيبر وباتريشا لينا ليفي وآخرون، مرجع سابق، ص١٤٨.

(103) Budgeon, Shelley. Op. Cit. p75.

(١٠٤) يمنى طريف الخولي، مرجع سابق، ص ص٢٨-٢٩.